كلية : الآداب

القسم او الفرع : التاريخ

المرحلة: الرابعة

أستاذ المادة : أ.م .د. نوفل حامد عبد الرحمن عمران الهيتي

اسم المادة باللغة العربية : انتشار الاسلام في افريقيا

اسم المادة باللغة الإنكليزية : Spread of Islam in Africa

اسم المحاضرة الرابعة باللغة العربية: نشأة الممالك الاسلامية في الساحل الافريقي الشرقي

اسم المحاضرة الرابعة باللغة الإنكليزية : The emergence of Islamic kingdoms in the East African coast

نشأة الممالك الاسلامية في الساحل الافريقي الشرقي

كان من نتائج الهجرات العربية الاسلامية الى ساحل افريقيا الشرقي فأتي في مقدمتها: تأسيس مراكز ومدن على طول هذا الساحل وفي الجزر المقابلة له وبالداخل ايضا. وسرعان ما استطاعت هذه المدن والمراكز العربية الاسلامية ان تفرض سيطرتها على المنطقة، وان تحقق نجاحا وازدهارا كبيرين، اذ كانت على جانب كبير من التنظيم والاستقرار؛ واسهمت في الانتعاش الاقتصادي والحضاري لتلك المنطقة، نذكر من اهمها ما يأتي: -

١ - مقاديشو.

من العرب كانت مقاديشو عاصمة (الصومال في الوقت الحاضر) أول مدينة عربية تأسست على ساحل افريقيا الشرقي. وذلك عام ٢٩٥هـ/ ٩٠٧م، اسسها جماعة ، ينتسبون إلى قبيلة الحارث العربية التي كانت مواطنها ما بين البحرين والاحساء. هبطت هذه الجماعة التي كانت قدمت بثلاث سفن بزعامة سبعة اخوة على الساحل الشرقي لافريقيا واسست مدينة مقاديشو، كما اسس هؤلاء مدينة براوة أيضا .

وبسبب نمو حركة التجارة في هذا الساحل نجد ان مدينة مقاديشو قد احتلت مركزا تجاريا ممتازا بوصفها اهم ميناء تبحر السفن التجارية منه اليه ولا سيما في القرن السادس والسابع الهجريين / الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين.

وشهدت مدينة مقاديشو هجرة عربية أخرى هي هجرة بني مجيد من المنذرية في اليمن في القرن ٦هـ ١٢ م . وبذلك يمكننا القول اعتمادا على ما ذكره ياقوت الحموي ان "سكان مقاديشو عرب اقحاح "

بلغت مقاديشو اعلى مكانة لها في القرن ٧هـ / ١٣ ودعيت " بمدينة الاسلام". حيث سيطرت على معظم الساحل واصبحت من اعظم المراكز الاسلامية وضمت جوامع كثيرة).

اقام العرب في هذه المدينة حكما قائما على الشورى تطبق فيه الشريعة الإسلامية العادلة ويعرض لنا ابن بطوطة الذي زار مقاديشو الكيفية التي يدار بها الحكم حيث يقول:
" واذا كان يوم السبت يأتي الناس الى باب الشيخ، فيقعدون في سقائف خارج الدار، ويدخل القاضي والفقهاء والشرفاء والصالحون والمشاريخ والحجاج الى المشور الثاني، فيقعدون على دكاكين خشب معدة لذلك. ويكون القاضي على دكانه وحده. ثم يجلس الشيخ بمجلسه، ويبعث الى القاضي فيجلس عن يساره، ثم يدخل الفقهاء، فيقعد كبراؤهم بين يديه.. ثم يدخل الشيخ الى داره، ويقعد القاضي والوزراء وكاتب السر واربعة من كبار الامراء للفصل بين الناس واهل الشكايات. فما كان متعلقا بالاحكام الشرعية حكم فيه القاضي، وما كان من سوى ذلك حكم فيه اهل الشورى، وهم الوزراء والامراء، وما كان مفتقرا الى مشاورة السلطان كتبوا اليه، فيخرج لهم الجواب من حينه على ظهر البطاقة بما يقتضيه نظره، وتلك عادتهم" وهكذا نجد أن هذا النص يقوم دليلا قويا على مدى تأثير العرب المسلمين في الساحل الافريقي الشرقي لا سيما في ميدان الحكم والادارة. وسلطان مقاديشو الذي قابله ابن بطوطة عام ٧٣١هـ/ ١٣٣٠م هو ابو بكر بن الشيخ عمر، وهو وان كان كلامه بالمقدشية، الا انه كان يعرف العربية التي كانت لغة التخاطب والتعامل الرسمي في مقاديشو. وهو من اسرة فخر الدين التي حكمت مقاديشو في القرنين الثامن والتاسع الهجري / الرابع والخامس عشر الميلادي. وقد شهدت مقاديشو في ايامهم ازدهارا للثقافة العربية الاسلامية، كما أصبحت هذه المدينة الكبيرة اهم مركز تجاري للعرب في الساحل الافريقي الشرقي، ومن هذا المركز بدا العرب بالانتشار جنوبا على طول الساحل ناقلين معهم حضارتهم الى المجتمعات الأفريقية الاخرى .

٢ ـ باتا: اسس العرب في الساحل الافريقي الشرقي مدينة اخرى هي مدينة باتا. وقد اشارت الكثير من الروايات المحلية السواحيلية الى ان باتا اسست عام ٦٩هـ/ ٦٨٩م على يد الأخوين سعيد وسليمان ابني الجلندي من عمان، كما ذكرنا انفا. وتشير وراية أخرى الى ان تأسيس باتا يرجع الى عهد عبد الملك بن مروان الذي شهد عهده ، تأسيس العرب لعدة مدن على ساحل افريقيا الشرقي مثل مالندي وزنجبار ومنبسه ولامو وكلوة . وهناك نص . طريف عن تأسيس مدينة لامو في مخطوطة (خبر اللامو) الباقري اللاموي جاء فيه " ان سكان لامو الاوائل هم من العرب الذين جاءوا من مدينة دمشق في سوريا، وان الشخص الذي ارسلهم هو عبد الملك بن مروان... وبعد هؤلاء جاء عرب اخرون وذلك بعد ان وصلهم اخبار المهاجرين العرب الى الساحل السواحلي، وان زعيم هؤلاء العرب الذين جاءوا هو الحاج سعيد '

ومن هذا النص يتبين لنا ان العرب المهاجرين من اهل الشام وسعيد الجلندي وقومه هم من اوائل من أستقر في لامو من العرب. وهنا يجب ان نشير الى ان هناك ترابط تاريخي وجغرافي بين لامو وباتا، فقد كانت لامو العاصمة التجارية في مجموعة جزر لامو بينما كانت باتا العاصمة السياسية. وان العرب من اهل عمان كانوا ـ ومنذ عام٦٩ هـ/ ٦٨٨ ـ قد سكنوا باتا. ولكن وجودهم فيها بقي بطيئاً ومتدرجا، حيث قدمت هجرات عربية أخرى اليها منها هجرة قبيلة البتاوة الحضرية والتي استقرت في باتا القرن ٢هـ/ ٨م كما أشرنا آنفاً والمعتقد ان هذه المنطقة ظلت تشهد هجرات ممتابعة اليها، مما ادى الى ازدهار قوتها وظهورها على الساحل كمدينة قوية وخاصة في نهاية القرن ٦هـ/ ١٢ م وبداية القرن ٧هـ/ ١٣م، حيث ظهرت القبائل النبهانية وفرضت سيطرتها عليها. في عام ٦٠١هـ/ ١٢٠٣م م ة قدمت هجرة عربية كبيرة من اقليم عمان تزعمها احد الحكام النبهانيين وهو سليمان بن سلفر النبهاني بعد انهيار دولتهم على يد اليعارية الى الساحل الشرقي لافريقيا واستقرت في باتا، وتزوج هذا الحاكم النبهاني من ابنة حاكم باتا العربي البتاوي، وأصبح حاكما على المنطقة، واصبحت باتا نفسها قد اصبحت

مركزا للسلطة النبهانية التي فرضت سيطرتها على ساحل افريقيا الشرقي. وغدت باتا في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي اقوى دولة على الساحل وانتعشت فيها حركة التجارة. واستمرت باتا تحت سلطة النبهانيين الى ان انتهى الأمر بهم - بعد مراحل طويلة من القوة والضعف - بالخضوع الى السلطنة العربية في زنجبار .

٣ - زنجبار:

جزيرة قريبة من الساحل الأفريقي، وكانت قديما مقر ملوك الزنج . وصل العرب الى هذه الجزيرة منذ وقت مبكر في القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي، حيث يخبرنا المسعودي ان اول استقرار للمسلمين فيها كان "في مبدا الدولة العباسية"(٨)، وقد استقروا فيها وبسطوا سيطرتهم عليها. والذي يبدو ان معظم الهجرات الى هذه المنطقة جاءت من البصرة والكوفة حتى يؤكد لنا ياقوت الحموي ان سلطان المنطقة كان عربيا من الكوفة . لقد حكم هذه الجزيرة والجزيرتين المجاورتين لها يميا ومافيا امراء عرب مسلمون منذ القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، كما نجد ان سكان زنجبار كانوا عربا، وكانت تجارتها بيد العمانيين والسرافيين ، ويبدو ان زنجبار كانت محطة تجارية مهمة تربط أفريقيا بالخليج العربي، وقد عاش سكانها حياة مترفة. كما اصبحت مركزا مهما لنشر الاسلام في المنطقة. ودليلنا على ذلك كثرة المساجد فيها التي قامت بدور مهم في نشر العقيدة الاسلامية والثقافية العربية الاسلامية.

٤ - بومباسا:

ويسميها الجغرافيون العرب (منبسة) وهي احدى المدن التي اسسها العرب المسلمون في الساحل بل تعد واحدة من اهم المدن في الساحل الأفريقي الشرقي واقدمها. وقد بلغت اوج ازدهارها في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي وحكامها عرب مسلمون وكذلك سكانها. وتبدو الحياة العربية في مومباسا واضحة احيائها، وخاصة في شوارعها وطراز بنائها العربي .

٥ ـ ماليندي:

عربي تقع جنوبي مومباسا على الساحل الافريقي الشرقي (وتقع الآن في كينيا). سكانها العرب المسلمون، وحكمها سلطان . منذ القرن ٤هـ/ ١٠م وبلغت مكانة مرموقة في القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي، بوصفها من اهم المراكز التي يتردد عليها التجار، ومارس اهل ماليندي التجارة وكانوا وسطاء بين سكان الداخل الوثنيين وبين التجار القادمين الى ماليندي من عرب وهنود وغيرهم).

٦ ـ سفالة:

تقع في اقصى الساحل الأفريقي الشرقي، فيما يسمى اليوم بموزمبيق وقد اخبرنا المسعودي ان مراكب العمانيين من الازد والسيرافيين كانت تصل اليها. وهي على حد راية ـ من أقاصي بلاد الزنج التي عرفها ووصلها العرب وسفالة هي اقرب مدينة الى منطقة الذهب في شرق افريقيا وقد سكنها العرب بسبب تجارتهما النشيطة

واختلطوا بسكانها المحليين حتى شاعت اللغة العربية بينهم. ويعود نشاط التجار العرب في سفالة الى اوائل القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي وذلك من اجل الحصول على الذهب والمتاجرة به. ويبدو ان السكان المحليين قد رحبوا بالعرب أما بداية تأسيس الحكم العربي فيها فيعود الى القرن السادس / الثاني عشر الميلادي، حيث شهدت سفالة اوج ازدهارها ٧ـ٨ هـ / ١٣ـ١٤ م.في القرنين والملاحظ أن سفالة ادت دورا حيويا بوصفها مدخلا للممالك الأفريقية الداخلية حيث كانت تزودها بالبضائع التي تطلبها مما يقدم التجار العرب المسلمون مقابل حصولهم على المواد الثمينة كالنحاس والذهب والعاج عن طريق المقايضة ولذا نجد ان صراعا طويلا دار بين المدن ودول الساحل الأفريقية الشرقي من اجل السيطرة عليها.

ظلت سفالة تحتل أهمية تجارية في الساحل الأفريقي الشرقي حتى مجيء البرتقاليين في القرن الخامس عشر الميلادي، حيث أعجب هؤلاء بما وجدوا فيها من مستوى عمال في الملبس والمأكل

ورخاء الحياة، وبما كانت عليه المدينة من تنظيم ونظافة. إذ يقول الرحالة البرتغالي وارث باربوسا في ذلك " ما ان وصلت سفن فاسكودي جاما الى سفالة حتى فوجئت مفاجأة لم تكن متوقعة فقد لقي البرتغاليون ما لم يكن في حسبانهم.. لقوا موانئ تطن كخلايا النحل ومدن ساحلية عامرة بالناس وعالما تجاريا اوسع من عالمهم